صحة بعض الأخطاء الشائعة : كيف يصبح الظرف «مع» حرف جر ؟

د. حسن محمد علي ازروال ، المغرب.

ملخّـــص

تحاول هذه المقالة أن تحدد الوضع الاعتباري للمكون «مع»:

1) الوضع الاعتباري الذي اعتمده النحاة العرب حين رأوا أن «مع» تأخذ مواقع الاسم التركيبية.

2) وضع اعتباري ثان دافعنا عنه في هذه المقالـــــــــــة، يعتبر «مع» حرفا من حروف الجر.

إن الحقيقة تكمن في تنافس تحليلين مختلفين انطلاقا من اختلاف التعليل والاستـــــــدلال اللغوي بين تصورات قديمة وأخرى حديثة؛ وهكذا لا يمكن بأي حال من الأحوال تبخيس تصورات القدماء نظرا للمسافة الزمنية التي تفصلنا عنهم.

ستعالج هذه المقالة المشكل اللساني الذي يكمن في تمثيل الكلمات داخل الجملة التالية :

ــ جئت مع العصـــــــر .

ما الوضع الاعتباري الذي نسنده للمكون «مع» في الجملة أعلاه ؟ هل هي ظرف أم حرف ؟

انطلاقا من التمثيلين:

1) [ف + س + [ظ = ظرف] + س ا] المعروف عند النحاة؟ [أتت «مع» ظرفا]

2) [ف + س + ح + س ا] الذي يعبر عن الخطأ الشائع؟ [أتت «مع» حرف جر]

سيدافع التحليل الوارد في هـــــذه المقالة عن إثبات صحة الخطأ الشائع [«مع» = حرف] الذي يعبـــر عنه التمثيل (2).

Résumé

Cet article essaie de déterminer le statut de la composante «ma'a» :

1) le statut, basé sur un point de vue des grammairiens arabes, qui montre que la composante «ma'a» occupe les mêmes positions du nom dans la syntaxe.

2) un deuxième statut, dans cet article, qui considère «ma'a» une proposition.

La vérité se manifeste dans la concurrence entre les arguments et les justifications linguistiques, à propos de la composante «ma'a», de deux analyses différentes car les conceptions anciennes et modernes se distinguent les unes des autres. Malgré tout, on ne peut pas infériorisier les conceptions des grammairiens arabes parce que nous sommes conscients de la distance temporelle qui nous sépare de leur époque.

L'article va traiter le problème linguistique de la représentation des mots dans la phrase suivante :

jiátou ma‘a [áa]l‘aṣri.
Quel ṣtatut peut-on assigner à la composante «ma‘a» dans la phrase : źarf ou harf?
A partir des deux représentations :
1) fi‘l + fâ‘il + źarf + moudâf áilayh› majroûr (représentation défendu par les analyses des grammairiens arabe)
2) fi‘l + fâ‘il + harf + áism majroûr (représentation défendu par notre analyse dans cet article).
Notre analyse a confirmé l’orientation correcte de «l’erreur commune » («ma‘a» = harf) ; donc elle a choisi la représentation N° (2) .

Clavier/ tableau de phonétique pour écrire les mots en arabe :

أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
á	b	t	t	j	h	ẖ	d	ḏ	r	z	s	š	ṣ
ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
ḍ	ṭ	ź	’	ġ	f	q	k	l	m	n	‹h	w	y

(Annexe)
(h›amza [ء] = [’]).

Tableau des voyelles courtes en arabe

fatha	ḍam- ma	kasra
ـَ	ـُ	ـِ
a	ou	i

Tableau des voyelles longues en arabe

áalif	wâw	Yâ’
â	oû	î

تأطير نظري: البناء العاملي والاستعمال العاملي.

أ) البناء العاملي :

يشكل البناء العاملي الشق الأول من التنظير للجملة عامليا، فهو بناء مجـــــرد ومنطقي يستدعي التعرف على بنية تركيب اللغة العربية. ومن بين تمثيلات هذا البناء في الجملة الفعلية:

1) ف س.

2) ف س س1.

3) ف س ح س1.

4) ف س سا س2.

5) ف س سا ح س2.

6) ف س1.

وتعبر هذه التمثيلات عن بنى منطقية وتجريدية للجملة الفعلية العربية. فإذا كان التمثيل الأول يفيد أن الفعل لازم، فإن باقي التمثيلات تفيد أن الفعل متعد إما إلى مفعول به أو بالحرف أو إلى مفعولين أو إلى مفعول به يفصل عن اسم آخر بالحرف؛ ويبقى التمثيل الأخير يفيد الانتقال من الجملة المبنية للمعلوم إلى الجملة المبنية للمجهول؛ ورغم ذلك، قد لا تشكل هذه العينة المقترحة لائحة مغلقة لجميع تمثيلات الجملة الفعلية في اللغة العربية مما يوجب الحذر.

إن البناء العاملي يقبل جملا، وإن كان بعضها لاحنا، مثل:

1) أ- قاتل زيد عمرا.

ب- تقاتل زيد عمرا.

2) أ- اطلع التلميذ على دروسه.

ب- طلع التلميذ على دروسه.

تنتمي المجموعة الأولى من هذه الجمل إلى التمثيل [أو البناء] أعلاه (2) الذي يتضمن إمكان حدوث الترتيب المجرد والمنطقي [ف س سا] في التراكيب العربية؛ وتنتمي المجموعة الثانية إلى التمثيل [أو البناء] أعلاه (3) الذي يتضمن إمكان حدوث الترتيب المجرد والمنطقي [ف س ح سا]؛ وتكون النتيجة وضع جمل صحيحة وجمل لاحنة على قدم المساواة داخل البناء العاملي.

ب) الاستعمال العاملي :

إذا كان البناء العاملي يهتم بتجريد الجمل العربية وبعملها المنطقي فقط، فإن الاستعمال العاملي جزء من قدرة مستعمل اللغة التي تقبل جملا معينة وترفض أخرى رغم أن بناءاتها المنطقية قد تكون ثابتة أو صحيحة، ويحتكم الاستعمال العاملي إلى معيار الصواب والخطأ في التراكيب مما يؤدي إلى تصنيف الجمل إلى:

- جمل مقبولة.
- جمل لاحنة تماما.

وهكذا نجد النحاة يقبلون كلاما ويخطئون آخر؛ إذن على أي أساس يتم قبول جمل ورفض أخرى؟. تخضع المسألة برمتها لحدس المتكلم المستمع ومستعمل اللغة العربية الذي يكون مطالبا باستمرار بمراقبة التراكيب وفق مستويين: البناء العاملي من جهة والاستعمال العاملي من جهة ثانية في

إطار نوع من التأثير والتأثر بينهما.

إن تحليل اللغة من خلال البناء العاملي والاستعمال العاملي من شأنه أن يقدم حلولا معقولة ترتبط بالتفسير؛ لكن هذا النوع من التحليل يعيد إلى الوجود نقاشات النحاة العرب الموضحة للتعليل.

تمهيـــــــد:

يسعد أساتذة اللغة العربية أو المهتمون بها حين يكتشفون خطأ لغويا متداولا تداول الأخطاء الشائعة لكثرة استعماله في اللغة. وتزداد حدة استنكارهم حين يشيرون إليه دون أن يجدوا آذانا صاغية لتصحيحه. فهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها لأنهم يعتقدون أنهم أحرزوا سبقا لغويا [يعيد الأمور إلى نصابها]، ويتكلمون كثيرا عن هذا الاكتشاف والإنجاز. ولم ينتبه أحد منهم يوما إلى إمكان حدوث الصواب أو بعضه في الخطأ اللغوي المكتشف في الصيغة نفسها التي نجزم بأنها لاحنة، ولم يسائلوا أنفسهم قط : لماذا انحرفت الواقعة اللغوية عن الطريق الذي رسمه النحاة لها؟ ما هي خصائص التصور الجديد الذي بداخل هذا الانحراف؟ أليس الانحراف رغبة لغوية تسعى من خلاله الواقعة إلى تشييد موقع جديد لها؟ لماذا لم نكلف أنفسنا عناء البحث في الخطأ اللغوي الشائع، ربما نجد بعض الصحة في الوضع الجديد؟ هذا ما ستناقشه المقالة لتوضيح علاقة «مع» الظرف الزمني بحروف الجر.

الاستقراء اللغوي:

تميز هذه المقالة بين البناء العاملي والاستعمال العاملي عند تحليل هوية «مع» اللغوية. فإذا أخذنا الاستعمال العاملي التالي: [جئت مع العصر]، نتساءل: ما هو بناؤه الأصلي: هل هو من نمط تمثيل: [ف + س + [ظ = ظرف] + س ا] المعروف عند النحاة؟؛ هل هو من نمط تمثيل: [ف + س + ح + س ا] الذي يعبر عن الخطأ الشائع؟

عندما نقوم باستقراء كتب النحو، نجد القدماء لا يدرجون «مع» الظرفية مع حروف الجر؛ فغالبا ما نعتقد أن هذه الكلمة تقوم بجر الاسم الذي بعدها على أساس أنها تنتمي إلى فئة حروف الجر [هنا يكمن الخطأ الشائع]. وانسجاما مع التمهيد أعلاه : لم لا نعتبر «مع» الظرفية حرفا من حروف الجر؟.

يحصي ابن مالك في ألفيته حروف الجر المتعددة، ولا نجد ضمنها «مع» التي تختلط في الغالب بها، يقول :

هاك حروف الجر وهي من إلى ❖ حتى خلا حاشا عدا في عن على

مذ منذ رب اللام كي واو وتاء ❖ والكاف والباء ولعل ومتى [1]

ويفسر ابن هشام غياب «مع» عن قائمة حروف الجر قائلا : «مع: اسم بدليل التنوين في قولك : «معا» ودخول الجار في حكاية سيبويه «ذهبت من معه» وقراءة بعضهم [«...هذا ذكر من معي...» الأنبياء : 24] وتسكين عينه لغة غنم وربيعة، لا ضرورة خلافا لسيبويه، واسميتها حينئذ باقية، وقول النحاس: « إنها حرف بالإجماع» مردود.

وتستعمل مضافة، فتكون ظرفا، ولها حينئذ ثلاثة معان:

أحدهما : موضع الاجتماع، ولهذا يخبر بها عن الذوات نحو: [«... والله معكم...» محمد، الآية : 35].

والثاني : زمانه نحو: «جئتك مع العصر».

والثالث : مرادفة «عند»، وعليه القراءة وحكاية سيبويه السابقتـــــان.

ومفردة، فتنون، وتكون حالا، وقد جاءت ظرفا مخبرا به في نحو: قوله:

أفيقوا بني حرب وأهواؤنا معا ❖ وأرحامنا موصولة لم تقضب.

وقيل: هي حـــال، والخبر محذوف، وهي في الإفراد بمعنى جميعا عند ابن مالك، وهو خلاف قول ثعلب.

إذا قلت: «جاءا جميعا» احتمل أن فعلهمـــا في وقت واحد أو في وقتين، وإذا قلت: «جاءا معا» فالوقت واحد. وفيه نظر؛ وقد عادل بينهما من قال:

كنت ويحيى كيدي واحـــــد ❖ نرمي جميعا ونرامى معـــا.

وتستعمل معا للجماعة كما تستعمل للاثنين، قال:

يذكرن ذا البث الحزين ببثـــه ❖ إذا حنت الأولى سجعن لها معا.

وقالت الخنساء :

وأفنى رجالي فبادوا معـــــا ❖ فأصبح قلبي بهم مستفـــزا. » [2]

أهمية مقولة الاسم (التنوين المتنوع) في تحديد هوية «مع»:

يمكن دحض بعض الآراء الموجودة في هذه القولة الطويلة لابن هشـام، فنقول إن حروف الجر التي عددها ابن مالك في البيتين لا تقبل التنوين عكس «مع»؛ غير أن «معا» بتنوين النصب حالة شاذة في هذه الكلمة بدليل أن الأسماء التي تختتم بالياء تأخذ التنوين أيضا في حالة حذف هذه الياء، فكما تقـــــول «قاضي»، تقول كذلك «قاض» فيأتي التنوين عوضا عن الياء. أما إذا أردنا أن نظهر التنوين المتنوع فـــي الكلمة، نقول استثقالا: «قاضي» «قاضيا» «قاصي»، ولا نقول :

1] مع.

2] مع.

مما يجعل الاحتفاظ بالتنوين حالة شاذة في :

3] معا.

لأنه لا يعوض شيئا في الكلمة، ولا يتنوع كما في الاسم الذي تظهر عليه يـــاء الاستثقال. وكذلك نجد الأمر نفسه في الأسماء المبنية تعذرا مثل «فتى» التي تقبل تنوين النصب.

4] فتى.

بدليل إعادة النظر في الألف التي ترفـــض التنوين المتنوع. فأقصى ما يمكن أن تقبله هذه الكلمة هو هذا النصب بما أنه لا نقول :

*5] فت.

6] فت.

ويأتي لحن [*5] و[6] من كون تنوين الضم والجر لم يفلحا في تعويض ألف البنـــاء التي تسببت في تعذر حدوث الحركات الثلاث القصيرة في آخر الكلمة؛ إذن هناك جدلية بين الحذف والتعويـــض التي قادت إلى الفشل ومن ثم إلى اللحن. أما تنوين النصب في «معا» فإنه لم يأخذ خصائص الكلمة المستثقلة، ولا خصائص الكلمة التي يحدث فيها التعذر . [3]

وإذا كانت خصائص «مع» قاصرة على أن تشبـــه هذين النوعين من الأسماء [أسماء الاستثقـــال وأسماء التعذر]: هل هذا يعني أنها تقبل خصائـــــص الاسم الذي يستعمل التنوين بأنواعه الثلاثة مثل «رجل»، فنقـول :

7] رجل.

8] رجلا.

9] رجل.

إن افتراض رائز تركيبي يضم معطيات [*1] و[2] سيقود حتما إلى لحن التركيـب لأنه لا توجد وقائع لغوية تؤيد هذا الاستعمال وترخصه؛ ونستدل كذلك بقول ابن هشام إن «مع» اسم بديـــل التنوين في قولك: «معا»؛ ولكنه لم يأت بالأمرين الآخرين مما يجعلنا نتســاءل : أين تنوين الضم وتنوين الجر في «مع» كما في [7] و[9]؟.

بقي أن نفحص «مع» في علاقتها بالممنوع من الصرف : فإذا كانت الأسماء التي تنتمي إلى سلوك المنع تأخذ طريق الإعراب الواحد، فترفع بالضمة الظاهرة وتنصب بالفتحة الظاهرة وتجر بالفتحة النائبة عن الكسرة كما في :

10] جاء عمـــر.

11] أرغم زيد عمر / أو عمرا على السفـــر.

12] التقيت بعمر .

ويصبح التنوين ضد المنع من الصرف في :

13] التقيت بعمر.

الذي ينضاف إلى التنوين العادي في «عمر» و«عمرا»؛ إلا أن «معا» التـي تقبل تنوين النصب فقط لا علاقة لها بعائلة المنع من الصرف، فهي تحمل حركة إعرابية قصيرة واحدة [النصب] في جميع ما تسلكه الوقائع اللغوية إذا لم تستعمل منونة؛ أما إذا استعملت منونة فهي تحمل فقط تنوين النصب [معا].

إذن ليس الإشكال في «مع» أن تقبل التنوين أو أن ترفضه؛ لكن الإشكال الحقيقي يكمن في حالة انعدام هذا التنوين [النصب]، فتطابقها حروف الجر التي حددها ابن مالك في البيتين. إن عدم تغير حركـة النصب القصيرة يؤكد تطابقها مع حروف الجر لأن كل حـــرف يبقى ثابتا على الحالة التي هـو عليها ولا

يغيرها [هذا ما سنعالجه مستقبلا في علاقة «مع» بـ «معا»].

ونختم هذه الفقرة بالإشارة إلى الصفات والمشتقات مثل أسماء الفاعلين والمفعولين وأسماء الزمان والمكان... فهي عينة أسمية تندرج ضمن الأسماء المبنية والأسماء المعربة حيث تذهب رواتز تواردها في الجمل إلى عدم مشابهة خصائصها بخصائص «مع».

هل نتحدث عن الكلمة نفسها : «مع» بهوية «معا»؟

سيلاحظ أن الأمثلة التي حشدها ابن هشام في قولته السابقة تتفرع إلى سلوكين لغويين : عندما يستعمل «مع» غير المنونة لا يجوز أن يقف المتكلم عند هذه الكلمة لأنه لو فعل ذلك سيصبح الكلام غير تام؛ ولهذا تستدعي «مع» إتمام الجملة كما في :

14] أ- قال تعالى : [«... هذا ذكر من معي...» الأنبياء 24].

ب - نقول في غير القرآن : هذا ذكر من مع.

15] أ- ذهبت من معه.

ب - ذهبت من مع.

16] أ- جئت مع العصر.

ب- جئت معـ.

لم يأت ابن هشام بالباءات في [14] و[15] و[16] لأنها لاحنة، ولم ترد في القرآن، ولم تنطقها العرب ما دام هذا النوع من الاستعمال يعيق عملية التواصل بين مستعملي اللغة. أما «معا» المنونة فيصح الوقوف عندها بدليل ورودها في أشعار العرب التي نقتطف الشاهد منها في قولة ابن هشام :

17] أفيقوا بني حرب وأهواؤنا معا.

18] نرمي جميعا ونرامى معا.

19] إذا حنت الأولى سجعن لها معا.

20] وأفنى رجالي فبادوا معا.

سيقول قائل إن هذا الفرق بين «مع» و«معا» في الجمل هو فرق بصري واضح؛ لكن يتوضح من خلاله أن سلوك الكلمتين مختلف في اللغة العربية مما يجعل الأولى تقبل تأويلات معينة، والثانية تقبل تأويلات أخرى :

أ- تأويلات «مع» : استشهد ابن هشام برأي سيبويه، في هذه المسألة، الذي تحدث عن تقدم حرف الجر على «مع» في المثال [15أ] وهو رأي تصيده من كلام العرب لا للدلالة على شيوعه في اللغة وإنما على وروده فيها؛ فهو مثال يشبه إلى حد بعيد الحالات الشاذة لغويا؛ ولهذا عوضت بالمعنى الثالث في القولة لأن الشائع عند العرب أن تقول :

21] ذهبت من عنده.

وهو ما يدعم القراءة التي سيدافع عنها هذا المقال مستقبلا في كون التراكيب لا تقبل في الغالب الجمع

بين حرفي الجر.

ويجب استبعاد التأويل الثاني لـ «مع» الذي يقترحه ابن هشام عندما تحدث في المعنى الثاني - في قولته - عن البعد الزمني الذي يجعل هذه الكلمة ظرف زمان كما في المثال [16أ] المكرر هنا :

16] أ - جئت مع العصر.

إذن عوض أن تعرب «مع» حرف جر تحمل خصائص حروف الجر التي تؤثر في الأسماء بعدها بالجر، ستعرب حسب ابن هشام ظرفا مبنيا في محل نصب مفعول فيه؛ وسيتبنى المقال مستقبلا إمكان تعويض «مع» ببعض حروف الجر الأخرى.

أما المثال [14أ]، فهو مثال ملتبس لأنه مدعوم بقراءة البعض التي ستجمع بين حرفين من حروف الجر «من» و«معي» على غرار المثال [15أ]، وهي قراءة ملتبسة لأن الأصل فيها سيكJJون «من» بمعنى الاسم الموصول [الذي]، لا بمعنى حرف الجر [من].

ب- تأويلات «معا» : عندما نتحدث عن تنوين النصب، تتعدد تأويلات «معا» حسب ورودها في الجمل. وقد استطاع ابن هشام أن يتحدث - كما في القولة- عن التأويلات المرتبطة بورود «معا» في الوقائع اللغوية في [17] و[18] و[19] و[20] : تأتي «معا» ظرفا مخبرا به وهي حال؛ أو تأتي حالا خبره محذوف بمعنى «جميعا»؛ وتأتي بمعنى: احتمال الفعل وقتا واحدا أو وقتين؛ وتستعمل مع الجماعة ومع الاثنين... الخ. وتدل تأويلات «معا» على حضور الغموض والإبهام النحويين في هذه الكلمة، إذ سيدفع كل ذلك إلى إعادة النظر في قراءتها تركيبيا حتى تتحدد بالضبط أوجه خصائصها الحقة. فتأويلات «مع» دون تنوين النصب ينزع بها إلى مجال الحروف [خصوصا حروف الجر لأن ما بعدها يكون مجرورا]، وتأويلات «معا» بتنوين النصب ينزع بها إلى مجال الأسماء [لأنها تحتمل كثيرا موقع الحال ومعناه ولا تحتاج إلى ما بعدها ضرورة]. [4]

تركيب:

إذن نمارس تحليلين متناقضين بخصوص «معا» :

أ] إذا استسلمنا لتصور ابن هشام الذي يعتبر «معا» اسما بديل قبولها التنوين أو تأويلها بما يؤول الاسم مثل الحال...، فإنها لا تحتاج إلى غيرها ويحسن الوقوف عندها في الجمل [17] و[18] و[19] و[20]؛ فهي تخرج عن فئة الحروف.

ب] وإذا تناولنا تحليلا آخر مغايرا حيث «معا» ليست اسما رغم قبولها التنوين، فإن الحرف يعمل فيما بعده، في حين لا يوجد شيء بعدها تعمل فيه عمل حروف الجر كما في الجمل [14أ] و[15أ] و[16أ] التي عملت فيها «مع» بجر ما بعدها؛ فهي تحجز- عندما يصيبها تنوين النصب- موقعا في خلف الجملة، وتتوارد مع كلمات تخرج عن صنف الحروف، مثل :

22] - جاء التلاميذ معا.

- جاء التلاميذ جميعا.
- جاء التلاميذ طـرا.
- جاء التلاميذ أيضا.
- جاء التلاميذ فعلا.
- جاء التلاميذ بغتة.
- جاء التلاميذ تـوا.
- جاء التلاميذ حقا.
- جاء التلاميذ مرارا.

والشائع في استعمال هذه الكلمات التي تتوارد معها [5] «معا» في اللغة العربية أن تأتـــي ظرفا منصوبا للدلالة على الحال، أو أن تأتي مفعولا به، أو أن تأتي مفعولا مطلقا. وتؤكد هذه الوظائف الإعرابية جزءا من مواقع الاسم التركيبية.

يمكن اعتبار المشكل الوارد في فقرة «تركيب» مشكلا مصطنعا لأنـــه ينحرف بنا عن المشكـــل الرئيس: لا يهـــم الخوض في خصوصيات «معا» المنونـــة بتنوين النصب، وإنما يهم معرفة هوية «مع» المنصوبة بحركة قصيرة والتي تقترب كثيرا من عائلة حروف الجـر، وهذا ما ستتناوله الفقرة القادمة. وقبل ذلك، نصرح بأن الواقعة اللغوية التي حكم عليها ابن هشام منعـــزلة، أي : «معا»، حكم عليها باعتبارهـــا اسما، والمدعومة بالقـول: «« إنها حرف بالإجماع» مردود»، لا تفرق بين «مع» و«معا» حســب ما ورد في هذه الفقرة وفي فقرات سابقة. فالمرجح أن «مع» التي تأخذ وضع الحرف لا علاقـــــة لها بـ «معا» التي تلتبس مع الاسم من الناحية التركيبية.

«مع» حرف جر:

نكرر المثـــال [16أ] :

16] أ – جئت مع العصر.

وتعرب «مع» حسب قولة ابن هشام التي يشرحهـــا المعجم في الإعراب: «ظرف للمكان والزمان يدل على الاجتماع نحو: أنا معك، وجئت مع العصر، وهو معرب منصـــوب على الظرفية إذا كان مضافا: جاء خالد مع سعيد. وقد يفرد عن الإضافة فينصب عندئذ على أنه حال في مثل قولك: جئنا معـــا أي متصاحبين؛ كما يقع موقع الخبر في قولك : خالد وسعيد معا، فيكون ظرفا متعلقا بالخبر.» [6]

« وتكون ظرفا مبنيا على الفتح إذا كانت مفردة «مع].»[7]

وتعرب «مع» في الجملة [16أ] ظرفا مبنيا على الفتح في محل نصب مفعول فيه، وهي مضـــاف. أما «العصر»، فهي مضاف إليه مجرور.

وسنوضح كيف أن «مع» في الجملة نفسها [16أ] أتت حرف جر، أما «العصر» فتعـــــــرب اسما مجرورا.

لنتأمل الجمل التالية:[8]

23] أ- جئت في الصبـــــاح.

ب- جئت في العصـــــر.

24] جئت مع الصبـــــاح.

16] أ- جئت مع العصـــــر.

25] أ- جئت وقت الصبـــاح.

ب- جئت وقت العصـــــر.

26] أ- جئت في وقت الصباح.

ب- جئت في وقت العصـر.

يقبل حرف الجر «مع» الموجود في الجملتين [24] و[16أ] أن يتبادل مع حرف الجـر «في» الموجود في الجملتين [23أ] و[23ب]. ويعترضنا مشكـــــل تأويل حرف الجر «مع» عند حذفه واستبداله بكلمة «وقت» في الجملتين [25أ] و[25ب]؛ حينذاك سنعتقد أن تأويل «مع» هو «وقت» لنخلـص إلى نتيجة أن «مع» هي ظرف؛ غير أن الجملتين [23أ] و[23ب] لا تتضمنان «مع» بل «في» التي تخضـع لتأويل «وقت» في الجملتين [25أ] و[25ب]؛ فإذا كان الأمر كذلك، فإن حرف الجر «في» لن يكـــــون سوى ظرف زمان وسيعرب إعراب «مع»: «في» ظرف زمان مبني في محل نصب مفعول فيه؟.

وستأتي الجملتان [26أ] و[26ب] للتأكيد أن كلمـة «وقت» ليســت تأويلا لحرف الجـــر «في» في الجملتين [٢٣أ] و[٢٣ب] بل هي جزء من الكلمة التي تأتي بعد حرف الجـر. فكما نقول «الصباح»، نقول كذلك «وقت الصباح» وهذا ما قاد إلى الاحتفاظ بحرف الجـــــر في المثالين [26أ] و[26ب] أمام كلمـة «وقت» التي هي جزء من «الصباح». ونظير ذلك تأويل «مع» التي يجب أن تتصدر كلمة «وقت» في :

27] أ- جئت مع وقت الصباح.

ب- جئت مع وقت العصـــــر.

لتصبح «مع» بدورها حرف جر؛ لكن: ما مصير الجملتين [25أ] و[25ب]؟ هما جملتان تملكان بنية تركيبيـة لا علاقة لهما بحروف الجر أو تأويل الجر.

وقد تأخذ كلمة «وقت» طابع العمـــــوم لا التحديد لأن هدف التركيب هو فحص الوقائع اللغوية لا تحديد دلالتها؛ فكما نقول عند تناول ظاهرة لغوية بعيدة عن موضوعنا :

28] قال: ضرب محمد عليا.

فإن تأويلها التركيبي يحتمل وجوها أشهرها:

29] قال قولا.

لتصبح جملة «ضرب محمد عليا» في محل نصب مفعول مطلق؛ إذن كلمة «قولا» تأتي في سيـــاق [29] لتقترح تأويلا تركيبيا؛ ونقصد الشيء نفسه في أثناء تأويل «مع» و«في» على أســـاس إمكان استبدال تأويل كلمة وما يرتبط بها: «وقت الصباح» أو«وقت العصر»، بتأويل تركيبي هو «الوقت» فنقول :

30] جئت في الوقت.

حيث تتوحد الجملتان [26أ] و[26ب] في الجملة [30] التي توضح دلالة حضور الجر.

وضعيات تفرض التطابق:

لن تستبق هذه الفقرة الأحداث فتتحدث عن معنى «مع» في محور واسع هو: معاني حروف الجر، بل ستحاول أن تلمس هذا الإشكال انطلاقا من علاقة «مذ» و«منذ» بـ «مع»؛ وهكذا تخرج «مذ» من كونها ظرف زمان إلى كونها حرف جر في مثل:

31] ما رأيته مذ يوم الأحد.

إن حضور «مذ» في الجملة [31] إلى جانب كلمة تدل على الزمن «يوم» يجعل وضعها مشابها لـ «مع» في الجملتين [16أ] و[24]؛ ورغم ذلك تدخل «مذ» مع حروف الجر وتحذف «مع» منها. ونظير ذلك «منذ» التي تأخذ وضع «مذ» نفسها فنقول:

32] ما رأيتك منذ يومين.

وبهذا فإن «مذ» و«منذ»: « تكونان اسمين وتكونان حرفين، فإذا كانت إحداهما اسما رفعت ما بعدها، وإذا كانت حرفا جرته» ١٠. فلماذا لا نجعل لـ «مع» حكما يتناسب مع «مذ» و«منذ» في حالة تمتعهما بجميع حقوق حروف الجر؟

وإذا كانت «من» تشير إلى ابتداء الغاية التي قد تكون زمنية في الجملة:

33] جئت من الصباح إلى العصر.

فإن «إلى» تشير إلى انتهاء هذه الغاية. ويمكن لحرف «إلى» أن يضيف إلى الغاية معنى «مع» في الجملة:

34] قال تعالى: [«... فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق...» المائدة: 06]

ولهذا دخلت المرافق في الغسل [مع المرافق].

أما «في» فإنها حرف جر قد يفيد معنى «مع» في الجملة.

35] قال تعالى: [«... ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم...» الأعراف: 38].

أي: مع أمم.

وتأتي «الباء» بمعنى «مع» في الجملة:

36] بعتكم الدار بأثاثها.

أي: مع أثاثها.

ولا تدخل «مع» فقط في توزيع تركيبي أو معنوي مع حروف الجر، وإنما تدخل هذه الحروف في توزيعات ممكنة فيما بينها للدلالة على أن هذه الظاهرة عادية من جهة، ولا يمكن أن تفصل «مع» عن بقية حروف الجر من جهة ثانية. ويتضح هذا الأمر جليا عندما نعود إلى حرف الجر «الباء»؛ فهو يدل في الأصل على معنى الإلصاق أو الاستعانة أو السببية والتعليل، وينحرف إلى معاني حروف الجر الأخرى: فقد أتى

بمعنى «مع» في الجملة [36]، ويأتي بمعنى «في» في الجملة :

٣٧] قال تعالى : [« ولقد نصركم الله ببدر...» آل عمران : 123].

ويأتي بمعنى «من» في الجملة :

38] قال تعالى : [« عينا يشرب بها عباد الله...» الإنسان : 06].

ويأتي بمعنى «على» في الجملة :

39] أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالـــب.

... الخ.

هكذا تعرض هذه الوضعيات وغيرها تطابقات تركيبية ومعنوية بين «مع» وحروف الجر بصفة عامة.

روائز حذف حرف الجر:

سنقتصر في هذه الفقرة على عمليات الحذف لحروف الجر وفق القاعدة:

40] تحذف حروف الجر تخفيفا فيصل الفعل بنفسه فيعمل.

ولم يشكل مجال حذف الجر في اللغة استثناء عند العرب بل كان مجالا فسيحـا تعززه القاعدة [40] للتأكيد على تساهل اللغة العربية [شجاعة العربية] من جهة، وقدرتها على الإتيان بآليات تساعد المرء على الفصاحة. وبتطبيق القاعدة [40]، نحصل على الجمل:

41] قال تعالى : [« واختار موسى قومه سبعين رجلا...» الأعراف : 155].

42] أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتـــــــك ذا مال وذا شنب.

43] استغفر الله ذنبا لست محصيــه رب العباد إليه الوجه في العمـــل.

إن أصل الجملة [E1] في غير القرآن هو [اختار موسى من قومه]، وأصل الجملة [E2] هو [أمرتـــــك بالخير]، وأصل الجملة [E3] هو [أستغفر الله من ذنب]. وقياســـا على الجمل [E1] و[E2] و[E3]، تتحول الجملتان [٢٣أ] و[٢E] إلى الجملـــــــة :

EE] جئت صباحا.

وتتحول الجملتان [٢٣ب] و[١٦أ] إلى الجملة :

E0] جئت عصرا.

أما الجملتان [٢٦أ] و [٢٦ب] فقد اعتمد عليهما تحليلنـــــا السابق للدلالة على أن كلمة «الصباح» وكلمة «العصر» تتضمنان جزءا خفيا هو «وقت» مما يجعلنا نقول في أثناء التأويل «وقت الصباح» و«وقت العصر»؛ وهكذا يكون الحذف حقيقيـــــا في الجمل: [٢٣أ] و[٢٣ب] و[١٦أ] و[٢E]؛ إلا أن الجمل التي تتضمن «مع» في مواقع تركيبية معينة، يكون حـــذف هذا الحرف فيها مستعصيا يقود إلى اللحن، مثل :

E٦] أ- جئت مع محمد [11].

ب- جئت محمـــــدا.

فالمشكل التركيبي في [٤٦ ب] اللاحنة، مشكل يصدر أساسا عن عدم إمكان تطبيق القاعدة [٤٠] لأن دلالة الجملة [٤٦ ب] لا تناسب دلالة الجملة [٤٦ أ]؛ وليس هذا الأمر عامل ردع أمام «مع» حتى لا تلتحق بحروف الجر، بل هناك تراكيب تتضمن هذه الحروف مع تعذر إمكان تطبيق القاعدة [٤٠]، مثل:

٤٧] أ - السرج للدابة.

ب - سرت من المدرسة.

ج - تحدثت إلى محمد.

إن حذف حرف الجر في القاعدة [٤٠] يجعل الفعل يعمل مباشرة، وهو أمر لا يمكن تطبيقه على [٤٧أ] لأن الجملة اسمية وليست فعلية. أما الشاهد في الجملتين [٤٧ب] و[٤٧ج]، هو مجاورة حرف الجر للفعلين «سرت» و«تحدثت». ورغم ذلك، لا يمكن تطبيق القاعدة [٤٠] على جمل [٤٧]: إذا أردنا حذف حرف الجر في الجملة [٤٧أ]، يجب أن يحول هذا التركيب إلى تركيب إضافي هو:

٤٨] سرج الدابة.

ولهذا لا نقول:

٤٩] السرج الدابة.

هذا فيما يتعلق بالجملة الاسمية التي لا تقبل حذف الحرف إلا إذا عدلت تركيبيا؛ أما الجملة [٤٧ ب] - رغم كونها فعلية - فهي لا تقبل حذف حرف الجر، ولهذا لا نقول:

٥٠] سرت مدرسة.

وتظهر الجملة [٤٧ ج] كيف أن حذف حرف الجر «إلى» سيقود إلى لحن الجملة:

٥١] تحدثت محمدا.

ونشير أن [٤٦ ب] هي جملة لاحنة في سياق ما إذا حذف منها حرف الجر «مع» وصحيحة في سياق آخر يحذف منها حرف الجر«إلى»، مثل:

٥٢] جئت إلى محمد [12].

إجازات لغوية لحروف الجر:

ذهب التعدد اللهجي اللغوي في العصور القديمة إلى تنوع الاستعمالات المرتبطة بالجوازات، فقد كانت قبيلة بني عقيل تدرج «لعل» في حروف الجر. وتدل وقائع لغوية على مثل هذا الجواز، منها بيت لكعب بن سعد الغنوي:

٥٣] فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ❖ لعل أبي المغوار منك قريب.

وقول شاعر آخر:

٥٤] لعل الله فضلكم علينا ❖ بشيء أن أمكم شريم.

[فأبي] و[لفظ الجلالة] مبتدآن، و[قريب] و[فضلكم] خبران، و[لعل] في الحالتين حرف جر شبيه بالزائد

دخل على المبتدأ.

وكانت قبيلة هذيل تدرج «متى» في بعض الأحيان ضمن حروف الجر، وكانوا يقولون :

٥٥] أخرجها متى كمه.

ويقصدون [من كمه]. ورغم أن الأمر يتعلق بلهجات عربية تقصى من الاستعمالات الشائعة، فهي تمنحنا فرصة الاجتهاد لأنه كما ندرج حروفا ونقصي أخرى: لم لا نفعل الشيء نفسه مع «مع» فندرجها في لائحة حروف الجر؟ ويزداد طموحنا في الاتساع عند مراقبة اختلاف النحاة في قضايا لغوية متعددة، منها: كان سيبويه يعتبر [لولا] حرف جر إذا اتصلت بالضمير، فنقول :

٥٦] لولاك / لولاي / لولاه.

فهذه الضمائر عنده مجرورة بـ [لولا]. ويحق لغيره – مثل الأخفش – أن يزعم أنها في موضوع رفع على الابتداء، ليصبح الضمير في محل رفع مبتدأ خبره محذوف وجوبا، وجملة المبتدأ والخبر شرط لولا في بيت عمرو بن العاص :

٥٧] أتطمع فينا من أراق دماءنا ❖ ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن.

إذن، لم لا نعتبر «مع» حرف جر انطلاقا من التحاليل السابقة.

معاني «مع»:

يقترح النحاة والبلاغيون معنى [أو معان] لكل حرف من حروف الجر لتأكيد وظيفته الدلالية داخل الجملة إلى جانب وظيفته التركيبية. ويمكن الاستناد إلى قولة ابن هشام في فقرة «الاستقراء اللغوي» لنستعير منها معنى التواقت أو الظرفية في جمل [٢٣] و[٢٤] و[١٦أ]، ومعنى الاجتماع في [٤٦أ] وفي :

٥٨] قال تعالى : [«... والله معكم... » محمد ٣٥].

ويمكن إضافة المعاني إن ظهرت «مع» في سياقات أخرى.

موقع «مع» ضمن حروف الجر:

إذا اتفقنا أخيرا أن ندرج «مع» في لائحة حروف الجر، نتساءل: ما هو القسم المناسب لاحتوائها؟.

تعرض علينا كتب النحو ثلاثة أقسام لحروف الجر :

«وحروف الجر ثلاثة أقسام :

١...قسم يلازم الحرفية وهي : من، إلى، حتى، في، الباء، اللام، رب، واو القسم، وتاء القسم.

٢...وقسم يكون حرفا ويكون اسما وهي : على، عن، الكاف، مذ، منذ.

٣...وقسم يكون حرفا ويكون فعلا وهي : حاشا، عدا، خلا»[13].

ستلاحظ – عزيزي القارئ – أننا لم نثر قط علاقة «مع» بالأفعال مما يجعل القسم الثالث أعلاه يسقط من حسابات إدراج هذا الحرف؛ وستلاحظ كذلك أن علاقة «مع» بالاسم هي علاقة ملتبسة IE عندما تأخذ تنوين النصب في «معا» لأن جميع الحروف والأسماء الموجودة في القسم الثاني لا تتغير من حيث عدد الحروف أو التنوين، وفي أثناء إدراجها ضمن هذا الصنف أو ذاك مما يدل أن «معا» ليست هي «مع».

ويبقى القسم الأول هو الذي يمكن أن يعطـــي «مع» هوية حرف الجر فقط لأنها تأتي قبل اسم تؤثر فيه إعرابيا عكس «معا» [15].

خلاصـــــة:

نصل إلى خلاصة ندافع فيها عن كلمة «مع» ضمن مسالك النظريـة العاملية. وإذا ما أردنا أن نفعـل ذلك، يجب أن نميز داخل النظريـة العاملية بين ما يسمى البناء العاملـي الذي هو بناء منطقي مجرد، والاستعمال العاملي الذي هو تحقق فعلي لهذا المنطق من خلال التداول اللغوي [مكتوبا ومنطوقا]. ولا يمكن أن ننطلق من البناء العاملي إلى الاستعمال العاملي إلا بالمرور عبر وساطة الاستدلالات التركيبيـة أو ما يسميه النحو العربي بالتعليل. فإذا أخذنا الجملتين التاليتين :

- جئت مع العصر.
- جئت مع محمد.

وإذا أردنا تحديد هوية «مع»، سنحصل على :

البناء العاملـي	التعليـل	الاستعمال العاملـي
ف + س + س١ + س٢.	نص ابن جنـي.	جئت مع العصر. جئت مع محمد.
ف + س + ح + س١.	التعليل الذي دافعنا عنه في هذا المقال.	جئت مع العصر. جئت مع محمد.

يتحدث تعليل البناء الأول – حسب ابن جني– عن ضـرورة اعتبار «مع» اسما، وقد دعم النحو العربي بصفة عامة هذا التعليل قبل وبعد مجيء ابن جني. أما التعليل الذي اقترحناه في البنـاء الثاني هو تعليل يعتبر «مع» حرف جر بدليل قبولها الخصائص التي تقبلها حروف الجر.

الهوامـــــش:

١- متن الألفية، ابن مالك، دار المعرفة، الدار البيضـاء، ٢٠٠١، ص . ٢٢. البيتان يحملان الرقمين : ٣٦E و ٣٦٥.

٢- مغني اللبيب، ابن هشام، تح. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكـر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٨، ص.٣٢٦.

٣ – هناك فرق آخر بين «معا» والكلمـات التي يحدث فيها التعذر؛ فإذا كانت «معا» لا يتصدرها حرف الجر كما سنرى في [١٧] و[١٨] و[١٩] و[٢٠]، فإن الكلمـات التي يحدث فيها التعذر تقبل حرف الجر كما في قولنا : التقيت بفتى من مكة.

وهذا ما يجعل تأويل «معا» ملتبسا، فهي لا تأخذ خصائص الاسم المتعذر، وفي الوقت نفسه لا تقبل إحدى خصائص الاسم التوزيعية : الجر.

E – حسب علمي، تأتي «معا» في آخر الجمل [أنظر الجمل : [١٧] و[١٨] و[١٩] و[٢٠]، ولا يأخذ الحرف هذا الموقع [خصوصا حروف الجر التي تتطابق مع «مع»] حيث احتمال أن تكون «معا» اسما شاذا كما سنرى في الفقرة القادمة. وأما ما يراد بعد «معا» فهي مركبات ملحقة يمكن الاستغناء عنها، مثل :

– جاء التلاميذ معا إلى القسم.

– جاء التلاميذ معا.

٥ – نقصد الدور التركيبي لا الدلالي.

٦ – عمر توفيق سفر أغا، المعجم في الإعراب، دار المعرفة،، الدار البيضاء، ص. ١٤١.

٧ – المرجع نفسه، ص : ١٤١.

٨ – ننبه القارئ أننا سنمارس قراءة تركيبية لا دلالية حتى لا يقال إن دلالة «مع» ليست هي دلالة «في»، بل نبحث في المواقع التي تتوزع فيها الكلمتين معا تركيبيا.

٩ – وهذا ما لا يتطابق مع لائحة حروف الجر المعروفة في بيتي ابن مالك لأن الحرف «في» ليس ظرفا.

١٠ – المرجع في اللغة العربية، علي رضا، الأجزاء ١/ ٣، الطبعة الرابعة، دار الشرق العربي، حلب – سورية، ٢٠٠٣، ص . ١٧٩.

١١ – من بين الروائز التي تدل على حرفية « مع» أنها تقبل في الاسم الذي يأتي بعدها أن يكون ضميرا : وتتحول الجملة [E٦أ] إلى جملة :

– جئت معه.

وهو سلوك ينسحب على حروف الجر، فنقول أيضا :

– سرت إليها [المدرسة].

– التقيت به [محمد].

– أفرج عنه [علي].

لكن معا لا يأتي كلام بعدها يمكن تحويله إلى ضمير.

١٢ – أما حذف حرف الجر سماعا فقبل أفعال كثر تعديتها، وتكون الأفعال محذوفة الحرف ومنصوبة المجرور على نزع الخافض مثل [كفر / أمر / شكر / استغفر / اختار] مثل [كفر النعمة وكفر بها / شكرت المنعم وشكرت للمنعم / أمرتك خيرا وأمرتك بخير / استغفرت الله ذنبي واستغفرته من ذنبي / اختار خالد إخوانه خمسة واختار من إخوانه خمسة].

١٣ – المرجع في اللغة العربية، علي رضا، مرجع مذكور، ص . ١٧٣.

١٤ – أشار ابن هشام في فقرة «الاستقراء اللغوي» أعلاه أن« مع» اسم بدليل دخول الجار في حكاية سيبويه « ذهبت من معه». وأعتقد أن «عن» لها وضع « مع» نفسه، فتكون اسما إذا رادفت [جانب] وذلك

حين تسبق بحرف جر [من أو على] كقول قطري بن الفجاءة :

فلقد أراني للرماح دريئة ❖ من عن يميني مرة وأمامي.

إذن، ما الفرق بين « من عن يميني» و« من معه»، وبالتالي، إذا كانت « عن» عبارة عن حرف جر في مواقع أخرى، لم لا تكون « مع» كذلك؟ الشيء نفسه يتعلـــــق بحرف الجر «على»، فحين يكون مرادفا لكلمة [فوق] ومسبوقا بحرف جر مثل [خطبت من على الفرس] فهو اسم.

10 – تتعدد الروائز التي تجعل« مع» حرف جر، فنقول :

– تناولت الغذاء مع محمد.

– التقيت بزيـــــــــد.

– فرحت كفـــــرح أحمد.

ويمكن تحويل هذه الجمل بتأويل معا، فنقول :

– تناولنا الغذاء معا.

– التقينـــــــا معا.

– فرحنـــــــا معا.

حيث تأتي «معا» للدلالة على معنى المشاركـــــــة الذي ينضاف إلى معنى التواقت أو الظرفية ومعنى الاجتماع؛ لكن السؤال الذي يطرح : بما أن«مع» و«الباء» و«الكاف» هي حروف تشترك في تأويل «معا»، لماذا ندرج فقط «الباء» و«الكاف» ضمن حروف الجر ونقصي «مع»؟

مكتبة المقالة:

📖 متن الألفية، ابن مالك، دار المعرفة، الدار البيضـــــــــــاء، 2001.

📖 مغني اللبيب، ابن هشام، تح. مازن المبـــــارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعـــــة الأولى، بيروت 1998.

📖 المعجم في الإعراب، عمر توفيق سفر آغا، دار المعرفة، الدار البيضاء.

📖 المرجـــــع في اللغة العربيـــــة، علي رضا، الأجزاء 3/1، دار الشرق العربـــــي، الطبعة الرابعـــة، حلب– سورية 2003.

📖 الأدوات النحوية ودلالتها في القران الكريـــــم، محمد أحمد خضير، مكتبة، الأنجلو المصرية، الطابع، مطبعة محمد بن عبد الكريم، القاهرة 2001 .

📖 الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطـــــي، دون محقق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1984.

📖 إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قبـــــاوة، دار الأفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت 1981 .